مجلة رفوف–مخبر المخطوطات – جامعة أدرار– الجزائر_____ المجلد: 10/ العـدد: 01 (جانفي 2022) ص 370– 382
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

اللإشاريات المقامية في الشعر الجزائري مقاربة تحليلية تداولية " *اللهب المقدس* للشاعر مفدي زكرياء" أنموذجا

Pragmatic Analysis Approach of Deixis in Algerian Poetry: "*al-Lahabu al-Muqaddas*" *by Moufdi Zakaria* as a Model

رقاني زهراء[1]، صنباوي كريمة[2]
Regani Zahra[1]، Sanbaoui Karima[2]
1 جامعة العقيد أحمد دراية أدرار (الجزائر)، reganizahra@univ-adrar.edu.dz
2 جامعة العقيد أحمد دراية أدرار (الجزائر)، Kar.sanbaoui@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2021/07/06	تاريخ القبول: 2022/01/10	تاريخ النشر: 2022/01/25

الملخص: تهتم الإشاريات بدراسة مدى ظهور العناصر التخاطبية في النص، ومدى مطابقتها لمقام الحال. وهي أدوات تعتمد في فهمنا لها على تأول المعنى الظاهر لمعاني أخرى خفية، فلا نقتصر على المعنى الظاهر فقط وهذا ما يتضمنه هذا البحث بالتطبيق على ديوان *اللهب المقدس* للشاعر"مفدي زكرياء"، حيث يعد الأخير مرجعاً هاماً في تاريخ الجزائر، ومدونة أدبية فاخرة في تاريخ الأدب الجزائري، إذ يهدف هذا البحث إلى استجلاء العناصر التخاطبية الموجودة في هذا الديوان، واستخراج الإشاريات المقامية المتجلية فيه بتحليل بنى قصائده، (الظاهرة والمضمرة). وكشف الستار على مكنونات الخطاب الوارد في الديوان.

الكلمات المفتاحية: الزمان، المكان، الشخصيات، الضمير، الإشاريات المقامية.

Abstract: Deixis studies mean the use of phrases and words to refer to a specific time, place, or person in text. Depending on how we understand a speech act in a given speech situation, we can interpret the implicit meanings. In this paper, the researcher attempts to explore and analyse the use of different types of deixis in "*al-Lahabu al-Muqaddas*" (Holy Flame); the work of the contemporary poet of the Algerian Revolution, Moufdi Zakaria. His work is an important reference and a luxurious literary blog in the history of Algeria. Therefore, the aim of our study is to extract the deixis elements used in his poem by analyzing its explicit and implicit structures, and unveil the components of its discourse.

Keywords: Time, Place, Personalities, Pronoun, Pragmatic Deixis.

المؤلف المرسل: رقاني زهراء، **الإيميل**: reganizahra@univ-adrar.edu.dz

1. مقدمة:

تعد الإشاريات الدرجة الأولى من درجات التحليل التداولي، حيث تهتم بدراسة مدى ظهور العناصر التخاطبية في النص (المخاطب، الزمان، المكان، السياق) ومقصديتها من خلال ما وظفت له, و من خلال السياق الذي وردت فيه. ولهذا نحن نستشهد دائما بالمقولة الشهيرة "لكل مقام مقال." (الجاحظ، الكناني، عمرو أبو عثمان، 1968، ص136)

ومن أولى اهتمامات اللسانيات التداولية "دراسة استعمال اللغة" الذي سُبق "بدراسة اللغة" والذي عُد نقصاً لدى التداولية، فبدل من دراسة المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية، تجاوزته إلى دراسة الأحوال المقامية المختلفة، وهي "كلاما محددا صادرا من متكلم وموجها إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصلي محدد لتحقيق غرض تواصلي محدد" (بومزبر، 2007، ص35–36).

هذه الأحوال المقامية تحمل في طياتها إشاريات مقامية تحيلنا على أوضاع المتكلمين وتقربنا أكثر من النص. هذا ما سنحاول التعرف عليه من خلال دراستنا لديوان الشاعر "مفدي زكريا"؛ فما هي هذه الإشاريات المقامية؟ وكيف جسدها "مفدي زكريا" في "ديوانه اللهب المقدس؟"

ومن الأهداف التي نسموا إلى تحقيقها، توسيع الدراسات اللغوية على النصوص الشعرية، وربطها بالواقع. كما يسعى البحث إلى معرفة العلاقة بين الحقائق التاريخية وجمالية لغة قصائد الشاعر، و أننا نعتز كثيرا بقاصد شاعر الثورة الجزائرية. ولقد اقتضت ضرورة البحث إلى انتهاج المنهج الوصفي لوصف المشيرات المقامية والمنهج التداولي لشرحها وبيان مدلولاتها. كما عدت لمجموعة من المصادر والمراجع لأدعم بها بحثي ومنها :*عن الذاتية في اللغة ضمن :تلوين الخطاب* لإميل بنفنست *و كتاب* عبد السلام المسدي المعنون ب*التفكير اللساني في الحضارة العربية.*

2. مفهوم المشيرات المقامية:

1.2 لغة:

أَشَرَ وضع إشارات وعلامات: (أشَر مَسْلكاً)، وَضَعَ إشَارة. علم: أشر على كتاب بقلم رصاص، وقع "أشر على كتاب ...مؤشر من يراجع قائمة ويؤشر عليها جمع مؤشرات ما يدل على شيء، علامة: مؤشرات تبعث على التفاؤل ... (رشيد اسكندر حشيمة، 2000، ص26–27).

أما بالنسبة للمقام: فالمقام "مَوضِعُ القدمين ...والمَقام والمَقامة: الموضع الذي يُقيم فيه. والمُقامة بالضم: الإقامة، والمَقامة، بالفتح: المجلس والجماعة من الناس قال: أما المَقام والمُقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة ...، والمَقام والمُقامة: المجلس ومَقامات الناس: مجالسهم والمَقامة ومَقام الموضع الذي تقوم فيه. والمَقامة السادة." (ابن منظور، ص 3781–3787).

إذا قمنا بجمع التعريفين اللغويين "للإشارات و المقام", نلحظ أن الإشاريات المقامية هي دراسة علامات حسب المقام الذي وضعت فيه.إذا هي دراسة الألفاظ في سياقها المحدد لها, لأن تلك العلامة (اللفظ) تدل على ذلك الموقف الذي يتحدث عنه المتكلم.

2.2 اصطلاحا:

تعدَّدت مصطلحات المشيرات، فأطلق عليها اسم المُعينات (déictiques)، وكذا مصطلح القرائن المُدْمَجَة أو الواصلة (Embrayeurs), أو الوحدة الإشارية (Index)"عند شارل بيرس" (Peirce)، أو التعبير الإشاري كما لدى "بار هيليل" (Bar– Hillel)). أو المُؤشر (indicateur)، أو دليل التلفظ (indice de l'énonciation), أو القرائن الإشارية (schifters). (جميل حمداوي، 2015، ص 22)

"ماري نوال غاري بريو": (marie.nellegary–prieur)"هو كل ما يحيط بالملفوظ (طرفي التبادل اللفظي، وضعيتهم النفسية، الموضوعات المحيطة بهم، وكل أنواع الظروف ...)، في الوقت الذي يؤلف فيه السياق محيط ذا طبيعة لسانية." (ماري نوال غاري بريو، 1437هـ.2016م، ص115). هذا ماورد عن علماء الغرب.

يتضح من هذا التعريف أن الإشاريات, هي كل الظروف (الاجتماعية, الاقتصادية, النفسية, السياسية, الثقافية...). التي أنشئت فيها العبارة , فالدارس للنص يجب عليه أن يلتمس كل هذه الظروف.

أما بالنسبة للعلماء العرب فالإشاريات هي: عبارة عن " العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب الذي وردت فيه لأنها خالية من أي معنى في ذاتها". (عبد الهادي بن ظافر الشهري، 2004، ص79).

هذا يدل على أن العلامة الإشارية تختلف باختلاف ما وظفت له، وما يبين دلالتها هو استخدامها داخل مقام معين، ذلك المقام الذي يدفع بنا لمعرفة ظروف النص وأبعاده الاجتماعية كما أشار إلى ذلك "جميل حمداوي" في تعريفه لها "هي وحدات التلفظ التي تساهم في تحيين فعل التلفظ انجازاً وقولاً وفعلا، عن طريق الضمائر، وأسماء الإشارة، وظروف المكان والزمان. ومن ثم، فالمعينات هي التي تُعنى بتحديد مرجع الوحدات اللغوية حين عملية التلفظ والتواصل, ويحيل هذا المرجع للسانيات الخارجية فيدرس نسيج علاقة الدال بالمدلول. ومن ثم لا يمكن أن

يتحقق معنى الشيء، وتتعين هويته، إلا بمعرفة ظروف التواصل وشروطه المميزة." (جميل حمداوي، 2015، ص23).

يبين جميل حمداوي أن اللفظ لا يحمل دلالة في ذاته, وإنما تكون له دلالة داخل السياق.

ويمكن أن يطلق على الإشاريات مصطلح آخر وهو "المُعينات"، وهو مصطلح أقرب للفهم؛ لأنها تعيننا على فهم النص، وهناك من يستعمل مصطلح المُعينات مرادفاً لمصطلح "الواصل" لكن مصطلح المعينات أشمل وأوسع منه؛ لأنه يشمل السياق ويرتبط بالاستعمال الشفوي والتلفظي للنص، كما أنه يشمل الإشارات وما يدل في النص على الزمان والمكان. " ومن المعلوم أن كلمة المعينات (déictiques) جمع لكلمة مفردة هي المعين الإشاري (déictique) ومن ثم، لا تأخذ هذه المعينات والقرائن الإشارية معناها، فيما فيها: الضمائر، أسماء الإشارة، ظروف الزمان والمكان، والصيغ الانفعالية وأسماء القرابة... إلا داخل سياق التلفظ، والتواصل، وفعل القول". (حمداوي، 2015، ص22).

يركز العلماء العرب على ان الإشاريات في العلامات اللغوية التي تحيلنا إلى الظروف المحيطة بواقع التلفظ حين حدوث العملية التلفضية, هذا مايجعلهم يرجعون لنظرية السياق عند "عبد القاهر الجرجاني", ومايقتضيه المقام , إذا الإشاريات المقامية هي دراسة مقام الحال .

3. صور الإشاريات المقامية:

1.3 الإشاريات الشخصية:

ويقصد بها الضمائر التي تساهم في انسجام النص كضمائر المتكلم (أنا، نحن)، وضمائر المخاطب (أنتم، أنتن) أو ضمائر الغائب (هم، هن)، وكما نعرف أن الضمائر تنقسم إلى وجودية وملكية، سواء كانت مع المخاطب أو مع المتكلم، أو مع الغائب (الجاحظ; الكناني ، عمرو أبو عثمان، 1968)؛ "ويسمى الضمير المتكلم والمخاطب ضمير حضور لأن صاحبه لابد أن يكون حاضرا وقت النطق به." (عباس حسن، ص218)

والإشاريات الشخصية تجعلنا نبحث أولاً في الضمير "أنا" في النص، الذي يعبر لنا عن شخصية المتكلم، إذ أن النص هو عبارة عن ميول المتكلم وبيان لذاته فيفرض المتكلم ذاته من خلال نصه ويتخيل مخاطب يوجه له رسالته فيعرب عليه بـ"أنتم، أنت، ..." وهذا ما أشار إليه "بنفنست" بحيث يرى اللغة عبارة عن أداة تعبر عن شخصية صاحبها فيبرز ذاته من خلالها والضمائر قوالب يستعين بها كل مؤلف لإبراز ذاته (إميل بنفنست، 2007، ص150).

فللضمائر حضور كبير في ديوان اللهب المقدس، ولاسيما ضمير المتكلم الذي يعود على الشاعر ويعبر عن إحساس صاحبه، ونجده متنوع في النص للدلالة على الذات المتحدثة، إما بالمفرد أو بالجمع، أو تذكيراً أو تأنيثاً. ويمكننا أن نلتمس بقوة الضمير المتكلم المفرد في قصيدته "زنزانة العذاب رقم 73" ففي مطلع القصيدة يقول الشاعر:

سيّان عنديَ، مفتوحٌ ومنغلق يا سجنُ بابك، أم شُدت به الحلقُ (مفدي زكريا,ص20)

نجد الضمير المتكلم بارزاً في قوله "عندي" الذي يبين لنا شخصية المتكلم ويدل على أن الشاعر يتكلم عن نفسه، وينقل لنا معاناته الذاتية، فيظهر لنا جليا قوة شخصية الشاعر وعدم خوفه من جدران السجن ومن أبوابه المقفولة فالغلق والفتح سواء بالنسبة له.

وفي قوله:

أم السّيّاط، بها الجَلاد يُلهبني أم خازِن النار، يكويني فأصْطَفق

ففي عبارة "يلهبني" نلحظ وجود ضمير المتكلم المفرد "أنا" وكذا في عبارة "يكويني"، هنا إشارة إلى أن الاستعمار الفرنسي قام بتعذيب الشاعر داخل السجن، وليس أي تعذيب بل أشد أنواعه (السياط، الجلاد، خازن النار)، ففي عبارة يلهبني ويكويني نسمع أنين الشاعر وحرقته ,نحس بما أحس من عذاب فتلمسنا قوة "ياء" المتكلم التي تعد من ضمائر المفرد المتكلم. إذا في البيتين تعبير عن معاناة الشاعر داخل السجن التي لا تهمه، فهل حقيقة لا تهمه؟ أحقيقة سواء عنده غلق الأبواب من فتحها؟ التعذيب من عدمه؟ أم أن الشاعر يبين لنا قوة شخصيته وعدم خوفه من الاستعمار حتى لا يحس المستعمر بضعفه وخوفه –ومن لا يخف من الجلد والكي بالنار – إذا هو يقول أيها المستعمر افعل ما شأت فأنا لا أخشاك، ويمكن أن يكون الشاعر يتعذب ويصرخ ويعاني من الخوف فعباراته دالة على ذلك (يكويني، يلهبني)، ولكن كل هذا لا يجعله ينطق بما يرغب سماعه المستعمر.

كما نرى بروز الضمير المفرد المخاطب "أنت" العائد على السجن، لأن الشاعر في هذه القصيدة يوجه خطابه للسجن، وكذا بروز حرف النداء "الياء" في قوله "يا سجن" حيث يعد النداء من المشيرات الشخصية الهامة والضرورية في النص, فهو يعني المخاطب و النداء مبهم ما إن اتضح المشار إليه كما أشار محمود نحلة في قوله" لا يتضح النداء إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه" (نحلة، 2002)ونجد محل الشاهد في قوله:

يا سجن. ما أنت؟ لا أخْشَاك؛ تَعْرِفُني من يَحْذِق البحر، لا يُحدق به الغرقْ

(مفدي زكريا، 1983، ص 20.21)

يا فرنسا، كفى خداعاً فإنّا يا فرنسا، لقد مللنا الوعودا

(مفدي زكريا، 1983،ص 17)

مناداة الشاعر للسجن نلمس فيه قوة و شجاعة، كما ويمكن أن يكون خوف مختبئ تحت ألفاظ القوة. كيف لا يخشى السجن والظلام وعدم الحرية، فكلمة لا أخشاك تدل أيضا على عكسها وهو (أخشاك)؛ إذ أن العبارات لا تعبر دائما عن حقيقة الأمر فيمكن أن تعبر عن خلاف ذلك. وفي البيت الثاني نجد نداء للمفرد يقصد به جمع، وهم "أبناء فرنسا" طالبا منهم الوفاء بالوعود. كما نجد حضورا قويا لضمير جمع المتكلمين وهذا في قوله:

نَحْنُ طُلاَّبُ الْجَزَائِرْ

نَحْنُ لِلْمَجْدِ بُنَـاةْنحن آمال الجزائر

نَـحْنُ آمَـالُ الْجَـزَائِـرْ

فِي اللَّيَالِي الْحَالِكَاتْ

كَمْ غَرِقْنَـا فِي دِمَـاهَـا

وَاحْتَرَقْنَا فِي حِمَاهَا

وَعَبِقْنَا فِي سَمَـاهَا

بِعَبِيرِ الْمُـهَـجَاتْ

نَـحْنُ طُـلاَّبُ الْجَزَائِرْ

نَحْنُ لِلْمَجْدِ بُنَـاةْ

(مفدي زكريا، 1983، ص97)

في القصيدة دلالة على وحدة الشعب الجزائري في السراء والضراء، فنرى النظرة التفاؤلية لأبناء الجزائر بتحرير البلاد وحلم بغد أفضل، حيث ضحوا بالنفس والنفيس من أجل وطنهم، فأهدوا أرواحهم فداء للجزائر فنجد توظيفا لضمير الجمع المنفصل "نحن" والمكرر بكثرة في القصيدة من أجل توكيد لحمة واتحاد أبناء الجزائر، وبعده نلحظ ضمير الجمع المنفصل (غرقنا، احترقنا، عبقنا ...) الدالة على وحدة مصير أبناء الجزائر من أجل تحرير وطنهم.

كما نلحظ ضمير الجمع الغائبين في قوله:

يا ضلال المُسْتَضْعَفين، إذا هم ألفوا الذُّل، واستطاعوا القُعُود

(زكريا، 1983)

نلاحظ استنكار الشاعر الذل والضعف على أبناء الجزائر، ووصفهم بالمستضعفين إذا هم اعتادوا على الذل والكسل، فأرض الجزائر لمن يخدمها وليس فيها مكان لذليل و الخطاب هنا بتوظيف الضمير "هم" موجه لأبناء الجزائر، وهنا رسالة لرفض الخمول والنهوض لطرد المستعمر وإلا فخرجوا من أرض الجزائر. كما نلحظ استعمالا للضمير المستتر في قوله:

قَام يَخْتالُ كالمسيح وئيداً يَتَهادى نَشوانَ، يتلو النشيدا

(مفدي زكريا، 1983، ص 09)

في الأفعال (قام، يتهادى، يتلو) ضمير مستترا تقديره هو العائد على الشهيد "أحمد زبانة" لمسنا فيها قوة الشهيد، وعدم خوفه من الموت أثناء تنفيذ حكم الإعدام وذلك ليلة18جويلية ،1955حيث يعد "أحمد زبانة" الشهيد الذي دشن المقصلة. ومن المشيرات المقامية أيضا أسماء الإشارة والتي نلمسها في قوله:

سببٌ، بأوتَار القلوب، عُروقه إنْ رَنّ هَذا، رَنّ ذَاك، وجَعاً

(مفدي زكريا، 1983،ص60)

"هذا" تستخدم للمذكر القريب و "ذاك" للمذكر البعيد، فلقد وظفت أسماء الإشارة هنا لبيان لحمة العرب و إحساسهم بالقضية الجزائرية, فإذا توجعت الجزائر "هذا" توجعت العرب هناك في أي مكان كانوا "ذاك"، سواء في مراكش أو في لبنان، فأضافت أسماء الإشارة قوة للتعبير و قوة للإحساس، فيحس القارئ بأن العروبة وحدة لا تتفكك، ويحس الجزائري بالأخص بوقفة أخوانه العرب معه فيزيد رابط صلة المحبة بينهم ، كما أنها تحمل معنى أخر وهو عبارة عن رسالة للمستعمر بأن لا يحلم بلمس عربي، فنحن متحدون ولن نترك بعضنا البعض، إذاً أسماء الإشارة أفادت الوحدة العربية الأصيلة و المتماسكة. كما نجد قوة استخدام الاسم الموصول "من"–يستخدم للعاقل – في قصيدته الرائعة " وتكلم الرشاش جل جلاله":

أَكْبَادُ مَنْ ..؟ هذه التي تَتَفطر؟ ودمَاء مَنْ ..؟ هذه التي تَتَقَطر؟ (زكريا، اللهب المقدس)

نقل لنا هذا الاسم الموصول قوة المشهد، فالقارئ لهذه السطور أحس إحساس الناظر للحادثة فيعاني ما يعانوه. من قتل ودماء وقلوب تنفذ أنفاسها الأخيرة. ألم كبير و تعذيب أكبر لا سامحهم الله ..

2.3 الإشاريات المكانية:

هي كل الألفاظ الدالة على المكان، وتحديد الأماكن المذكورة في الحديث الكلامي، سواء بالتسمية أو ببيان صفاتها الأساسية لتقرب لذهن المتلقي بأن نذكر رمز من رموزها فنقول: "مرورا بالجزائر فوقفت على جسورها المعلقة". إذا يفهم القارئ أنني زرت الجزائر تصريحا وبالضبط مدينة قسنطينة إشارةً. إذا "هناك طريقتان رئيسيتان للإشارة إلى الأشياء هي: إما بالتسمية أو بالوصف من جهة أولى، وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى" (عبد الهادي بن ظافر الشهري، 2004، ص82)

كما أن تحديد موقع التلفظ يساهم في تحديد المرجع المكاني، كأن يشير الكاتب إلى (الظروف، أسماء الإشارة، الاتجاهات)، لأن تداولية الخطاب تهتم بتحديد الموقع الذي جرت فيه الأحداث؛ لأنه وكما أشار عبد السلام المسدي "ليس الكلام متعاملا فحسب مع عنصر المكان وإنما هو حبيس في سياجه"

(عبد السلام المسدي، 1986، ص248)

ففي مستهل الديوان نلمس معالم المكان الذي يقصده الشاعر، والذي كان سببا في بناء قصائده. إذ هو المحرك الرئيس لقلب الشاعر، وهذا في قوله:

هَكَذَا يَـفْـعَـلُ أَبْنَـاءُ الجَزَائِـر يَا صَلاح الدِيْن في أَرْض الجَزَائِر...
سِرْ إلى الميْدان، مَأمُون الخُطى وتَـــطَوع في صُفُوف الجَيْش ثَائِر
أنت جُنْـــدي، بسَاحَات الفدآ وأنَا في ثُورة التَحْرير، شَاعِـــــر

(مفدي زكريا، 1983،ص06)

في القصيدة تصريح واضح وجلي على هدف الشاعر، والتضحية بالقلم من أجل أرضه الجزائر، حيث تعد الأخيرة إشارة مكانية تبين الأرضية التي احتدم فيها الصراع، ويدعوا ابنه وأبناء الجزائر عامة للتضحية من أجل الجزائر، وأن يكونوا مثل صلاح الدين الأيوبي في قوتهم وعزمهم على تحرير وطنهم حيث يعد صلاح الدين رمزا من رموز التضحية والكفاح فيطلب من ابنه الخروج لساحة المعركة بكل شجاعة وثقة.

ومن نسيج قصائد الشاعر يتبين لنا أنه دخل السجن وعاش فيه معاناة شديدة وهذا ما نلمسه في خطابه مع السجن:

سيّان عنديَ، مفتوحٌ ومنغلق يا سجنُ بابك، أم شُدت به الحلقُ

(مفدي زكريا، 1983،ص20)

فالسجن مكان ورمز للقيد والظلام، وحياة الجزائريين في ذلك الوقت كلها عبارة عن سجن، إذا السجن ليس تعبيرا عن مكان واحد فقط بل هو تعبير عن حياة بأكملها وعن أرض الجزائر المحاصرة.

وفي قوله:

أرضُ الجَزائر في افرقيَا قدسٌ رحابُها منْ رحَاب الخُلد إنْ صَدّقوا

(مفدي زكريا،1983،ص26)

هنا تحديد لموقع الجزائر بأنها من افريقيا، فمن لا يعرف الجزائر موقعا يلجأ إلى خريطة افريقيا فيتبين له أنها جزء منها، أو بالأحرى مدخلها وبابها بقوله "قدس"؛ أي واضحة وضوح القدس بكربها وجمالها. كما حدد الكاتب سبب معاناة الشعب الجزائري ألا وهي "فرنسا" في قوله:

أمْ هَلْ فَرنْسَا، أَسْرَفَتْ في عَسْفهَا فَأَذَاقَهَا عَذْلُ السّمَاء وَبَالَهَا؟

فَقدتْ فرنسا، رُشْدَهَا وصَوابَهَا وغَدَتْ تُسَجلُ في الأَنَام، ضلالَهَا

فاترْك فرنسا–وهيَ في أحْلامَهَا سَكْرَى– يُمَزقُ جُنْدُهَا أوصَالَهَا

(مفدي زكريا، 1983،ص156.157)

فرنسا اسم مكان استخدم في النص منسوب لأشخاص وهنا مجاز عقلي لعلاقة جمعت بينهم وهي المكانية، يبين الشاعر أن فرنسا تحصد ما زرعت من تعذيب وقتل وتشريد، فظنت فرنسا أنها خالدة في أرض الجزائر فنشرت ظلالها وأنشدت أن الجزائر فرنسية، ولكن هذا حلم وجب الاستيقاظ منه. و في قوله:

يَا فَرنْسَا أمْطري حَديْدا و نَاراً وامْلئي الأرْضَ والسَّمَاءَ جُنُوداً

(مفدي زكريا، 1983،ص17)

يبرز الشاعر مدى قوة جنود فرنسا عداً وعدداً، هذا من أجل إخضاع الشعب الجزائري وحلمكم هذا مستحيل لأن الشعب الجزائري لن يهزم رغم كثرتم وقوة أسلحتكم. وإن الشعب سيواصل نضاله مهما سجنت ووعدت، فرغم السموم الذي زرعته في أجساد الجزائريين والصراخ الذي زعزعت به جدران السجون، سيبقى هذا مجدا ممجدا في "بربروس" يشهد على صلابة الجزائريين, فلا تحلمي بالبقاء.

كما نجد أن الشاعر يخلد لذكرى تحرير تونس، ولكن هذا لا يبرز في مطلع القصيدة، بل لمح لها بذكريات فقط هذا ما يجعل المتلقي محتار عم يتحدث الشاعر إلى إن يقول:

وَتَنَفَسَ الصُعَدَاءُ شَعْب طَالَمَا ضَربتْ بتُونُسَ دَونَه الأَسْدَادَ

(مفدي زكريا، 1983، ص172)

فعندما ذكر الشاعر لفظة "تونس" زال الإبهام وهنا بيان على الوحدة العربية والأخوة الإسلامية. كانت الجزائر ولا زالت تتمسك بأصول الأخوة وتحس بمعاناة خلانها، هذا كله ونجد تجليات بارزة في "نشييد الانطلاقة الوطنية الأولى" في قوله:

فِدَاءُ الْجَزَائِرِ رُوحِي وَمَالِي ..... أَلَا فِي سَبِيلِ الْحُرِّيَّة

(مفدي زكريا،1983،ص104)

هنا نرى تضحيات الشاعر من أجل الجزائر، لا لشيء آخر–مادي– فأرض الأجداد يراها كل دنياه ولن يرتاح حتى يراها حرة لأنه يهواها ولا يمكن أن يتخلى عنها، إذا لفظة "أرض" تدل على أن تضحيات الشاعر من أجل أرضه ويبين مدى تمسكه بها ووجوب رعايته لها.

سَلاَمًا سَلاَمًا أَرْضَ الْجُدُودْ ..... سَلَامًا مَهْدَ مَعَالِينَا

(مفدي زكريا،1983،ص 105)

2.3 الإشاريات الزمانية:

أما بالنسبة للإشاريات الزمانية هي كل الألفاظ الدالة على الزمن (كاليوم، الأمس، غدا الآن ...)، هذا يدل على أن الإشاريات الزمانية هي كلمات تدل على لحظة التكلم وهذا ما نلمسه من مقام النص، فإذا التبس علينا تحديد الزمان صعب علينا تحليل النص (محمود احمد نحلة، 2002، ص19)، فعندما نسمع في الإعلانات "انتهز فرصة التخفيضات الآن" (عبد الهادي الشهري، 2004، ص83) فلفظة الآن هي عبارة عن مرجع زمني يبين لحظة التلفظ. إذا الظرف الزمني لا يأخذ مدلوله إلا داخل السياق فقولنا "ربي هونها في هذه الساعة" هذا لا يعني أنني أتحدث عن ساعة محددة وساعة الكتابة بل أتحدث عن كل الأيام وأدعو الله أن يهون علي مصاعب الحياة، وكما مثل "محمود احمد نحلة": "يتجاوز مدلول كلمة اليوم في عبارة بنات اليوم دلالة هذا العنصر الإشاري إلى الكوني الذي يتحدد بأربع وعشرين ساعة إلى أن يشمل العصر الذي نعيش فيه، وهذه الدلالة الإضافية موكولة إلى السياق الذي ترد فيه هذه العناصر الإشارية". (محمد أحمد نحلة، 2002، ص52)

وهناك من الباحثين من قسم الزمن إلى ثلاثة (زمن طبيعي، وزمن تاريخي، وزمن الحديث)، فالزمن الطبيعي هو ما نحس به في كل وقت وندرك ما يحدث فيه من تغيرات ويختلف من شخص لأخر بحسب البيئة التي يعيش فيها، أما الزمن التاريخي فهو الأحداث التي يعيشها الإنسان في حياته وتغيراتها من وقت لآخر ومن منطقة لأخرى؛ لأن الزمن هو "حصر حدث ما في محور الأزمنة بالنسبة لوقت معتمد كمرجع". (حمو الحاج

ذهبية، ص 105) أما موضوعنا الأساسي هو زمن الحدث وهو البحث في ارتباط الزمن مع الحدث وهو ما سماه "بنفرنست" (بزمن الحدث)، وأطلق عليه "تودوروف" (زمن الخطاب)، إذ يكمن زمن الحدث في الحاضر الذي يعتبر مرجعه الأساسي، ويتجلى في النصوص من خلال القرائن التي تحيل عليه، أما الماضي والمستقبل فيتحددان من خلال الدراسات التي أجريت عليه إذ نجد بعض النصوص درست في زمن قريب من زمن حدوثها، والبعض الآخر درس متأخرا فلا يكون له ماضي بل له حاضر فقط والعكس. (حمو الحاج ذهبية، ص ص105-107). وتتجلى المشيرات الزمانية في ديوان اللهب المقدس في قوله أنموذجا:

إنْ كَانَتْ (الحَبَّاتّ) أَمْس زَبَرْجَداً فَاليُومَ(حَبّاتُ) الرَّصَاص العَنْبَر

(مفدي زكريا، 1983، ص139)

في هذا البيت ظرفان زمانيان أولهما " الأمس " الدالة على الزمان الماضي، وثانيهما "اليوم" الدالة على الحاضر، فاستخدم الشاعر الأمس ليذكر فرنسا بدينها حيث " اقترضت الحبوب من الجزائر المستقلة قبيل الاحتلال 1828م حين فتكت بها المجاعة وتلكأت فرنسا في تسديد ثمنها "، (مفدي زكريا، 1983، ص139) إذا نحن نرد ثمن الحبوب اليوم بالرصاص (حبات رصاص)، إذا اليوم يوم الانتقام لن نتكلم ولن ننتظر.

أَوْ كَانَ منْ (بُوشْنَاق) أمْسُ بَلاوُنَا فَلَقَدْ غَدَوْنَا، بالمشَانق نَفْخَرُ

(مفدي زكريا، 1983، ص139)

نرى أن الشاعر قلب اسم "بوشناق" إلى "مشناق" إذا اسمك نقمة عليك – متعة التعبير– فبوشناق "هو أحد السماسرة اليهود الذين توسطوا في عقد السفقة بين حكومة الجزائر المستقلة وفرنسا الجائعة" (مفدي زكريا، 1983، ص139) فـ"بوشناق" رمز للبلاء الذي أصابنا وسنرد حقنا بالمشناق، فاستخدم الظرف (أمس) ليشير به إلى سبب بلاء الجزائر كما تحمل لفظة "غدونا" دلالة الانتقام الذي لن يكون باللسان بل بالشنق لأن الكلام لن يجدي نفعا كما نجد في قوله:

أَوْ أنّ مرْوحَةً تُعَدّ ذَريْعَةً فاليَومَ، بالأَرْواح لا نَتَأَخَر

(زكريا، اللهب المقدس)

نلاحظ أن فرنسا جعلت من فعل عفو سببا لتحتل أرض الجزائر " فعندما حرك "الداي" حسين مروحته، ادعى قنصل فرنسا بالجزائر "دوفل" أن "الداي" قد لطمه بها وكانت نقطة البدء." إذا هذا فعل بسيط قمنا به الأمس وبه احتقرنا وعذبنا، سنرد حقنا اليوم بأخذ الأرواح فلن ينفع الكلام بعد. نجد أيضا في القصيدة توظيف للأشهر التي تعد مشيرات زمنية:

أو كَانَ (يوليو) في الأَشْهُر كَبَا بنَا فَشَفِيْعُ (يوليو) في الشُهُور نُوفَمْبَرُ!

(زكريا، اللهب المقدس)

يوليو هو الشهر السابع (جويلية) شهر النحس على الجزائريين، فيه احتلت من طرف العدو الفرنسي وبالضبط في الخامس من يوليو ثلاثون ثمان مئة وألف، فسنرد حقنا في نوفمبر. إذا هنا بيان لتاريخ احتلال الجزائر وتاريخ تحريرها، فالمشيرات الزمانية تبين تاريخ وقوع الأحداث فيكون الشاعر هنا بمثابة المؤرخ.

4. خاتمة:

وختاما لما تم عرضه سابقا، يمكننا أن نستنتج قوة نسيج قصائد اللهب المقدس وقوة ملكة الشاعر وتحكمه في اللغة، حيث تعددت المشيرات المقامية في الديوان منها مشيرات شخصية كثيرة ومتنوعة (ضمائر، أسماء إشارة، حروف النداء...)، والتي تشير إلى أبناء الجزائر بالأخص وتعبر عن رفض لأبناء فرنسا, وذكر لأبناء العرب على العموم. واستخدام قوي للمشيرات المكانية حيث أظهر الشاعر قوة تمسكه بأرضه الجزائر ورفضه لفرنسا، وإذ يعدان سببا في تأليف الديوان ولا ننس قصائد الشاعر المهداة للدول الشقيقة (فلسطين، تونس، ليبيا، لبنان، المغرب، وسوريا...)، أما بالنسبة للإشاريات الزمانية فلها دور كبير في النص؛ حيث وضحت لنا سبب احتلال الجزائر وتاريخ احتلالها وتحريرها, وجعلت من الديوان مرجعا تاريخيا، إذا كل هذه الإشاريات كانت لبنات لبناء القصيدة.

وما أوصي به في الختام هو تكثيف البحث في هذا المجال، حتى يزول الإبهام عن معنى الإشاريات المقامية، وصب هذه الإشاريات على القصائد الشعرية وخصوصا منها العربية والجزائرية على الأخص، ونرجو أن نكون قد أصبنا في هذه المحاولة البسيطة وأفدنا بها زملائنا الباحثين.

5. قائمة المصادر والمراجع:

1. إميل بنفنست. (2007). *عن الذاتية في اللغة ضمن :تلوين الخطاب*. تونس: المتوسطية للنشر.
2. الجاحظ; الكناني ، عمرو أبو عثمان. (1968). *البيان و التبيين*. مصر: مكتبة الخانجي.
3. جميل حمداوي. (2015). *التداولية و تحليل الخطاب*. المغرب: مكتبة المثقف.
4. حمو الحاج ذهبية. *لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب*. الجزائر: دار الأمل.
5. رشيد اسكندر حشيمة. (2000). *المنجد في اللغة العربية المعاصرة*. بيروت: دار المشرف.
6. الطاهر بن حسين بومزبر. (2007). *التواصل اللساني و الشعرية، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون*. الاختلاف.
7. ماري نوال غاري بريو. (2016م). *المصطلحات المفاتيح في اللسانيات* . الجزائر: الاختلاف.
8. محمود احمد نحلة. (2002). *آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر* . مصر: دار المعرفة الجامعية.
9. ابن منظور. *لسان العرب, باب قام*.
10. مفدي زكريا. (1983). *اللهب المقدس*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.
11. عباس حسن. *النحو الوافي*. مصر: كورنيش النيل, القاهرة مصر, دط, دت.
12. عبد السلام المسدي. (1986). *التفكير اللساني في الحضارة العربية*. الدار العربية للكتاب.
13. عبد الهادي بن ظافر الشهري. (2004). *استراتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية*. ليبيا: الكتاب الوطني.